# التوافق الذاتي للأسرى الفلسطينيين الذين تحرروا من المعتقلات الإسرائيلية بعد انقضاء مدة محكومياتهم

**[٩]**

**معين عينساوي[١]– أحمد مصطفى العتيق[٢]– مصطفى ابراهيم عوض[٢]**
**عائشة الرفاعي[٣]**
١) باحث بمعهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس ٢) معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس ٣) كلية العلوم التربوية وكلية مجتمع المرأة، الأنروا، فلسطين

## المستخلص

نهدف في هذا البحث التعرف إلى آليات التوافق الذاتي لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الاسرائيلية، إرتباطاً بسمات الشخصية لديهم ومجالات التوافق المتاحة لهم واستخدموها فيما بعد التحرر. وتكمن الأهمية العلمية للدراسة في قلة البحوث التي تناولت موضوع آليات التوافق الذاتي لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية.بلغ عدد الإعتقالات التي تعرض لها المواطنون الفلسطينيون منذ إحتلال فلسطين عام (١٩٦٧) وحتى أبريل/ نيسان (٢٠١٦) نحو مليون معتقل، بينهم أكثر من (١٥) ألف فلسطينية وعشرات الآلاف من الأطفال. وأظهر تقرير نشره نادي الأسير الفلسطيني أن ما نسبته (٩٥%) من مجمل المعتقلين والأسرى تعرضوا للتعذيب والإساءة من قبل المحققين والجيش الإسرائيلي.

نُفِّذ البحث الميداني على عينة عمدية مكونة من (١٠٠) من الأسرى( ذكور وإناث). وتم أخذ العينة من الأسرى الذين تحرروا خلال السنوات الخمس الأخيرة من تاريخ هذا البحث، بإستخدام سجلات هيئة الأسرى والمحررين كإطار العينة، كما تم إستبعاد الأسرى الذين قضوا أقل من عام في الأسر. واعتمد البحث على اسلوب الإحصاء الوصفي: متوسطات حسابية، وإنحرافات معيارية. والإحصاء الإستدلالي عن طريق: إختبار التحليل العاملي، إختبار–t) (test، وإختبار تحليل التباين الأحادي، وإختبار معامل إرتباط بيرسون، ومعامل الثبات كرونباخ ألفا .

أظهرت نتائج البحث أن ٦٦% من المعتقلين قد اعتقلوا دون سن الثانية والعشرين،هذا يعني أن الإعتقال كان خلال فترة المراهقة وفترة تكوين شخصية الفرد.كما بينت النتائج في المقابلات الفردية أهمية المساندة الاجتماعية والعلاقات داخل الأسرة والتنظيم السياسي، والقرية. كما أظهرت نتائج المقابلات الفردية أن الأسرى جميعاً وبنسبة (١٠٠%) لم يراودهم الشعور بالندم وهذا شكل لهم جميعاً رافعة إستثنائية للتوافق النفسي والذاتي بما في ذلك إبان

فترة وجودهم داخل السجون أيضا.كذلك بينت النتائج ما نسبته(١٠٠%) من المبحوثين لم يلجؤا الى أي وسائل تساعد على التوافق النفسي مثل التدخين أو أخذ مهدئات أو أدوية، بل توجهوا للبحث عن شريكة حياة وبناء أسرة وتعليم وهو ما شكل توافق ذاتى لديهم.

## المقدمة

إن الإغتراب داخل السجون ولفترات طويلة قد يصل فيها الإعتقال إلى أكثر من ثلاثين عاماً، تجعل من الصعوبة بمكان أن يخرج السجين المحرر وهو قادر على الإندماج أو التوافق والتعايش النفسي والإجتماعي مع مجتمعه، سواء داخل الأسرة أو المجتمع، مما يتطلب آليات وأدوات تمكنه من عملية الإندماج والتوافق، ليتمكن من العودة لممارسة حياته الإعتيادية ما قبل الإعتقال. (عرفات صبحي طالب ذوقان، ٢٠١٠)

إضافة لما يتركه التعذيب من تأثيرات سلبية على صعيد الصحة النفسية للفرد وعلاقاته الإجتماعية وفكرته عن ذاته وقدرته على التكيف والتوافق مع المحيطين به.كما ذكرت منظمة العفو الدولية، بأن الهدف من التعذيب هو تحطيم الشخصية من خلال اللجوء إلى الأساليب العنيفة لإنتزاع الإعتراف حول الشخص ونشاط أشخاص آخرين، ومن هنا فهي طريقة لزرع الشك بينه وبين المجتمع، وسيلة تُشعِر الفرد بأنه مسئول عن إفشاء أسرار وإعطاء معلومات توقع آخرين كضحايا، ومن ثم وسيلة لإضعاف ثقة وتقدير الفرد بذاته ومضاعفة حدة الصراع النفسي الداخلي لديه (حسام حمدي العزب، ٢٠١٤). إن هذه الإجراءات والممارسات التعسفية التي تتخذها سلطات الإحتلال بحق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين لإنتزاع إعترافات، أو زعزعة معنوياتهم وتحطيمها، قد تؤدي إلى إصابة البعض بإضطرابات نفسية ناتجة عن الإحباط أو اليأس بسبب العجز. حيث دلت دراسة لسابا والسراج (١٩٩١) أن الذين تعرضوا للضرب أثناء الإعتقال كانوا سريعي الغضب ولا يستطيعون الإنتظار، وذلك لأن الإنتظار كان أحد أساليب التعذيب التي أُستعمِلت ضدهم، وظهرت لدى الكثير من ضحايا التعذيب مشاعر الإكتئاب نتيجة حتمية للشعور العميق بالعجز أو الإحساس بالذنب، فكثيرون منهم وقّعوا على إعترافات حتى لو كانت غير صحيحة. وأثبت هذا البحث أن الكثير من ضحايا التعذيب والترويع يحتاجون إلى العلاج النفسي بعد خروجهم من السجون والمعتقلات. (سابا، رغدة، والسراج، إياد، ١٩٩١)

## مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في الحاجة إلى التعُرف، وفهم مشكلة التوافق الذاتي للأسرى المحررين من السجون الإسرائيلية والآليات المستخدمة للتوافق الذاتي لهؤلاء الأسرى. كما تكمن مشكلة البحث في تنوعها وتشعبها ما بين كونها داخلية، من إقتصادية وإجتماعية ونفسية وسياسية وأسرية وعلاقات الأقارب وكونها نتاجاً مباشراً للإجراءات الإحتلالية من مشكلات هدم البيوت وإقتلاع الأشجار وتهجير المواطنين من قراهم ومدنهم، والاعتداء على حرمة البيوت وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، هذا بالإضافة إلى مشكلات السجناء والأسرى الفلسطينيين في سجون الإحتلال وما يتعرضون له من أشد أنواع الضغوط والعقاب والتعذيب، وما يسببه ذلك لهم ولذويهم على إختلاف مدة الأسر والسجن الذي يتعرضون له، فلم يترك الإحتلال مشكلة وكارثة إلا وتسبب بها للشعب الفلسطيني.

وهو ما جاء في دراسة علاونة (٢٠١٣) في دراسته تحت عنوان " الآثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية على الأسرى المحررين من سجون الإحتلال الصهيوني في فلسطين".

ودراسة حميدة (٢٠١٢) تحت عنوان " العلاقة بين أحداث الحياة الضاغطة ومستوى التوافق النفسي". كما لابد من الخوض في هذه القضية التي لم تأخذ حقها من البحث والتمحيص، وهي الآثار النفسية والإجتماعية الناجمة عن الإعتقال الإسرائيلي للأسرى الفلسطينيين، والكشف عن آليات التوافق الذاتي للأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية. كما ذكرته دراسة الطلاع (٢٠٠٤)، تحت عنوان " التوافق النفسي والإجتماعي وعلاقته بالإنتماء لدى الأسرى المحررين من السجون الإسرائيلية".

## تساؤلات البحث

**يتضمن البحث تساؤل رئيسي: " ما هي آليات التوافق والتعايش النفسي والإجتماعي للأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية" ؟**

**وتنبثق من التساؤل الرئيس مجموعة تساؤلات فرعية على النحو الآتي:**

١. ما آليات التوافق والتعايش الشخصي والإنفعالي التي يتبعها الأسرى الفلسطينيين االمحررين من السجون الإسرائيلية؟

٢. ما آليات التوافق والتعايش الصحي (الجسدي) التي يتبعها الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية؟

٣. ما آليات التوافق والتعايش والنفس إجتماعي التي يتبعها الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية؟

٤. ما آليات التوافق والتعايش الخاصة بالإندماج المجتمعي التي يتبعها الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية؟

## أهداف البحث

**الهدف العام للبحث:** التعرف إلى "آليات التوافق الذاتي لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية حسب/ ارتباطاً بسمات الشخصية، ومجالات التوافق المتاحة لهم واستخدموها فيما بعد التحرر".

**الأهداف الفرعية:** فحص العلاقة بين سمات الشخصية لدى الأسير المفرج عنه، وآليات التوافق الذاتي التي يتبعها. واستقصاء آليات التواق الذاتي للأسير المحرر وفق محاور منتقاة. كذلك التعرف إلى سمات الشخصية للأسرى المحررين من السجون الإسرائيلية المشمولين في البحث.

## أهمية البحث

**الأهمية العلمية:** قلة البحوث التي تناولت موضوع آليات التوافق الذاتي لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية (في حدود إطلاع الباحث). والحاجة الى اثراء الجانب النظري للبحوث التي تناولت آليات التوافق الذاتي لدى الاسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية بشكل عام. وحساسية هذا الموضوع بالنسبة للمعتقلين خاصة والمجتمع عامة بسبب معاناة عدد كبير منهم، من آثار الإعتقال وأهمية دراسة مثل هذه المعاناة والتطرق لها بشكل علمي.

**الأهمية العملية (التطبيقية):** تفيد صناع القرار في التعرف على آليات التوافق الذاتي لدى الاسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية، ومن ثم التفاوض والتعامل معها بشكل دقيق. وتساهم في وضع خطط من شأنها تيسيير عملية دمج الأسرى في برامج تؤهلهم الإنخراط في المجتمع تمكنهم من ان يكونوا افرادا منتجين.

## مجالات البحث

**المجال الجغرافي:** تم تطبيق البحث في الضفة الغربية كونها تضم العدد الأكبر من الأسرى المحررين، لسهولة التواصل والإتصال معهم. وقد تم توزيع البحث على المحافظات بناءً على سجلات هيئة شؤون الأسرى والمحررين، وتم توزيع مقاييس البحث على المحافظات من خلال التنسيق والتواصل مع مكاتب هيئة شؤون الأسرى والمحررين.

**المجال البشري:** تم تطبيق هذا البحث على عينة من الأسرى الفلسطينيين (ذكور وإناث) الذين قضوا فترات زمنية مختلفة في السجون الإسرائيلية، وتنطبق عليهم مواصفات وشروط الأسير المحرر. وتم أخذ عينة الأسرى الذين تحرروا خلال السنوات الخمس الأخيرة من تاريخ هذا البحث، باستخدام سجلات هيئة الأسرى والمحررين كإطار العينة، كما تم استبعاد الأسرى الذين قضوا أقل من عام في الأسر، إذ بلغت حجم العينة( ١٠٠ ) أسير ما بين ذكور وإناث.

**المجال الزمني:**( ٢٠١٦-٢٠١٩).

## دراسات وأبحاث سابقة

**١) دراسة أبو هين (٢٠٠١): تحت عنوان "تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي الإجتماعي لدى الشباب الفلسطيني المشارك في إنتفاضه الأقصى. وهدف البحث إلى** التعرف على مستوى التوافق النفسي الإجتماعي وتقدير الذات لدى عينة من الشباب الفلسطيني المشارك في إنتفاضة الأقصى في ضوء بعض المتغيرات وهي مكان الإقامة والمشاركة في الإنتفاضة ونمط المشاركة في فعاليات الإنتفاضة وطبيعة الأحداث التي يتعرض لها الشباب. وقد أجريت البحث على ٥٠٠ شخص من الذكور الذين شاركوا في الإنتفاضة بإستخدام إختبار تقدير الذات وإختبار التوافق النفسي الإجتماعي، وإستخدم الباحث إختبار(ت) كأسلوب إحصائي للوصول للنتائج.

**وكانت نتائج البحث** أن هناك فروق دالة إحصائياً في درجات تقدير الذات بين المشاركين في فعاليات الإنتفاضة وغير المشاركين طبقاً لمتغير المشاركة. كما تبين أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجات تقدير الذات تعزى لمكان الإقامة، وتبين أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التوافق النفسي الإجتماعي وفقاً لمتغير المشاركة في الانتفاضة.

**٢) دراسة الطلاع (٢٠٠٤) تحت عنوان " التوافق النفسي والإجتماعي وعلاقته بالإنتماء لدى الأسرى المحررين من السجون الإسرائيلية**" وذلك في ضوء متغيرات مكان السكن ومستوى التعليم وفترة الإعتقال والمهنة، وقد طبقت الدراسة على عينة من الأسرى المحررين يبلغ قوامها (200) أسير محرر، وعينة قوامها(200) ، ممن لم يتعرضوا للأسر، وقد أُستخدِم في البحث مقياس التوافق النفسي والإجتماعي ومقياس الإنتماء. **وقد توصلت الدراسة إلى** عدم وجود فروق في التوافق النفسي والإجتماعي بين الأسرى وبين الذين لم يتعرضوا للأسر، بينما أظهرت أن شعور الإنتماء لدى الأسرى أكبر منه ممن لم يتعرضوا للأسر، وأن الأسرى الذين أمضوا فترات أكبر في السجن وممن هم أكبر سناً وذوي مستوى تعليمي أعلى، أكبر قدرة على التكيف النفسي والإجتماعي ممن لم يتعرضوا للأسر ولم يكونوا في مستوى الأسرى التعليمي والسن.

**٣) دراسة بيلتري (Pellitteri) (2002): تحت عنوان "Self Concept and Self-Esteem in Elementary Children. Psychology in the Schools . 31,164- 171". وهدفت الدراسة إلى** التعرف على العلاقة بين الإتزان الإنفعالي وآليات الأنا الدفاعية بهدف معرفة العلاقة بين إدارة الإنفعالات، تنظيم الإنفعالات، المعرفة الإنفعالية، وعوامل الشخصية التي لها علاقة بالتكيف. وقد تكونت عينة البحث من (١٠٧) طالب وطالبة يدرسون في جامعتين في الولايات المتحدة الأمريكية.

**وأسفرت نتائج البحث عن:** وجود علاقة موجبة بين الإتزان الإنفعالي وأساليب الدفاع التوافقية؛ وجود علاقة سالبة بين الإتزان الإنفعالي وأساليب الدفاع اللاتوافقية؛ وجود علاقة بين أساليب الدفاع التوافقية والمعرفة الإنفعالية؛ عدم وجود علاقة بين أساليب الدفاع التوافقية وكلٍ من إدارة الإنفعالات وتنظيم الإنفعالات؛ وعدم وجود فروق في العلاقة بين الإتزان الإنفعالي والعوامل الشخصية تعزى لمتغيرات (الجنس،المستوى الدراسي).

**٤) دراسة Koubekova (2000) : تحت عنوان "مستوى التوافق الشخصي والإجتماعي لدي المعاقين حركياً". وهدفت الدراسة الى** معرفة مستوى التوافق الشخصي والإجتماعي للمعاقين حركياً من كلا الجنسين، حيث تكونت العينة من (١١٥) معاق ومعاقة ممن يتراوح أعمارهم ما بين (١٢–١٥) عام، وذلك من المدارس العامة والمدارس الخاصة التي تعلم المعاقين حركياً، وقد أُستخدمت للدراسة أدوات شملت على إختبار كاليفورنيا للشخصية وإستبيان القلق كحالة والقلق كسمة وإستبيان تقدير الذات.

**وبينت نتائج البحث أن** الأطفال المعاقين حركياً يظهرون قدراً عالياً من السلوكيات المضادة للمجتمع، والتجنب والعزلة عن باقي الأطفال العاديين. كما واتضح أن الفتيات من المعاقات كن يواجهن صعوبات في التوافق الإجتماعي أكثر من أقرانهم من الذكور المعاقين. كما أكدت البحث أيضاً أن المعاقات كن يعانين من قدر أكبر من تدني مستوى تقدير الذات وكن أقل رضا عن أنفسهن وكن يشعرن بعدم تقبل آبائهن ومعلماتهن وزميلاتهن لهن.

٥) **دراسة علا أبو حسب الله (٢٠٠٩) تحت عنوان "التأثير النفسي والإجتماعي للأسر على الأسيرات المحررات"**. وهي دراسة تتناول التأثيرات النفسية والإجتماعية للأسر على الأسيرات الفلسطينيات المحررات، مع الأخذ بعين الإعتبار عاملين هما( الضغوط النفسية الناتجة عن التعذيب، والظروف الإجتماعية التي تعيشها الأسيرة بعد خروجها من السجن ونظرة المجتمع لها). **وقد خلصت الدراسة الى** أهمية الأسرة والمجتمع في دعم الأسيرة، ويليه التوافق الإجتماعي والتوافق النفسي والحاجة الى إطار توجيهي، والحاجة الى التوحد مع الجماعة، ثم الحاجة إلى القيادة والمشاركة، وبعدها الحاجة الى تحقيق الذات، وصولاً إلى الحاجة إلى التقدير الإجتماعي. وهذا ينبع من كون الانسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكنه أن يعيش بمنأى عن الجماعه.

٦) **دراسة محمد الزير (٢٠٠١): تحت عنوان " الآثار بعيدة المدى للتعذيب لدى المحررين السياسيين وعلاقتها ببعض المتغيرات** ". وذلك للكشف عن الآثار البعيدة الناتجة عن السجن والتعذيب التي مارسها الإحتلال الإسرائيلي على المناضلين الفلسطينيين، وحاولت الدراسة معرفة الآثار النفسية والجسمية بعيدة المدى للمحررين السياسيين من السجون الإسرائيلية، وقد طبقت الدراسة على (٢٢٠) من السجناء المحررين من السجون الإسرائيلية وهذه العينة تمثل (١٠%) من النسبة الكلية للمحررين الفلسطينيين، وقد إستخدم الباحث مقياس شدة التعذيب ومقياس تأثير الحدث ومقياس الأعراض الجسمية، وأوضح البحث وجود علاقة ارتباط قوية بين التعرض للتعذيب الجسدي والآثار البعيدة المدى الناتجة عن الإعتقال كما بين البحث أن (٣٥%) من افراد العينة يعانون من الإضطراب الناتج عن الصدمة النفسية، كما أوضح عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين مستوى كرب ما بعد الصدمة والأمراض النفسية بعيدة المدى تعزى لعمر السجين عند الإعتقال.

## الإطار النظري للبحث

**مفهوم ميكانيزمات/ آليات التوافق الذاتي: ويتضمن سيكولوجية التوافق:** الإنسان يعيش في بيئة متنوعة من العلاقات، وهذا ينعكس على سلوكياته ودوافعه المختلفة مما يتطلب القيام بصور مختلفة من السلوك لمواجهة هذه الدوافع، بهدف تحقيق قدرٍ عالٍ من التوافق النفسي والإجتماعي، فالإنسان عندما يشعر بخطر يهدد حياته يبحث عن مكان آمن يلجأ إليه، وعندما يتخطى الأمر حدود الفرد وكيف يمكنه التوافق والتعايش مع المحيط الذي يعيش فيه، هنا يلجأ الفرد إلى التعايش مع البيئة والمحيطين، وليس معنى التوافق الشخصي والإجتماعي والإستقرار النفسي أن الفرد يخلو من المشكلات ولا يصادف أي عقبات تحول بينه وبين إشباع حاجاته والوصول الى أهدافه، حيث يتصف المتوافق نفسياً وإجتماعياً بشخصية متكاملة قادرة على التنسيق بين حاجاته وسلوكه الهادف وتفاعله مع بيئته، الذي يتحمل عناء الحاضر من أجل المستقبل متصفاً بتناسق سلوكه وعدم تناقضه ومنسجماً مع معايير مجتمعه دون التخلي عن إستقلاليته مع تمتعه بنمو سليم غير متطرف في إنفعالاته ومساهم في مجتمعه. (سعد المغربي، ١٩٩٢)

**مفهوم الأسر والأسير في القانون الدولي:** يشير مصطلح " أسير حرب " كما هو في القانون الدولي الإنساني وفي شرائع أخلاقية أخرى إلى مكانة المقاتل في جيش أو ميليشيا منظمة الذي وقع في أيدي عدوه، حسب القانون الدولي الإنساني، الذي تطور تدريجيا منذ (١٨٦٣)، وتتضمن مكانة أسير الحرب حقوق خاصة يتمتع بها، مثل عدم محاكمته وعدم تعرضه للتعذيب، تلقي علاج طبي كامل، الإستعانة بمنظمة الصليب الأحمر الدولية لمراقبة حالته الصحية والإتصال بأقربائه وغيرها من الحقوق. ونجد الحالة الفلسطينية بخصوص الأسرى والمعتقلين في سجون الإحتلال الإسرائيلي حول مركزهم القانوني، وإستعراض الموقف الإسرائيلي، وتعاطيه مع هؤلاء الأسرى من ناحية الإعتقال والإفراج، والذي ينكر عليهم أي صفة وفقاً لأحكام القانون الدولي.

**أشكال وعواقب التعذيب الممارس بحق الأسرى الفلسطينيين:** يعاني الأسرى والمعتقلين الفلسطينيون في سجون الإحتلال من إنتهاكات عديدة لحقوقهم المكفولة بموجب الأعراف والإتفاقيات الدولية المكونة للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان. فيتعرضون لصنوف التعذيب الجسدي والنفسي وغيره من ضروب المعامله والعقوبة القاسية والمعاملة المهينة والحاطة بالكرامة الإنسانية، حيث ترصد تقارير المؤسسات الحقوقية الفلسطينية والدولية، إستخدام قوات الإحتلال وأجهزتها الأمنية أكثر من (١٠٠) وسيلة تعذيب بحقهم أثناء التحقيق معهم. ومن أكثر أشكال التأثير النفسي التي تسبب ألم للأسير هي قضية التعذيب داخل المعتقلات، فمنذ نشأة حقوق الإنسان، لقي التعذيب إهتماماً خاصاً في أجندة الأمم المتحدة، كونه يشكل إنتهاكاً خطيراً لحقوق الإنسان، فكل الإتفاقيات والوثائق التي تم تبنيها على الصعيد الدولي والإقليمي، تتضمن حظراً صريحاً له ولغيره من أشكال المعاملة اللاإنسانية، وهذه الوثائق لم تضع تعريفا للتعذيب. ومن أكثر الطرق شيوعا للتعذيب: التعذيب الجسدي والتعذيب النفسي. فالملاحظ أن التعذيب الجسدي يتسبب في إيذاء للجسد والنفس معاً، والتعذيب النفسي ينعكس سلباً على شخصية الأسير وتفكيره، وخاصة التسبب في خلل عضوي للدماغ مثل فقدان الذاكرة، والخرف، وهذا ايضا ما يسببه التعذيب الجسدي من ضرر للدماغ في حالة الضرب على الرأس.

**النظريات المفسرة لمفهوم التوافق:** يعتبر البعد النظري لتفسير أية ظاهرة الأساس في كل البحوث وموضوع التوافق، ولأهميته الكبيرة يعد من المواضيع الحديثة في البحوث النفسية، وذلك لما له من علاقة مباشرة بحياة الفرد. ومن أهم النظريات التي فسرت التوافق، النظريات الآتية:

**النظرية البيولوجية الطبية: Biological medical theory:** ويقرر مؤيدوها أن جميع أشكال الفشل في التوافق تنتج عن أمراض تصيب أنسجة الجسم خاصة المخ، ومثل هذه الأمراض يمكن توارثها، أو إكتسابها خلال الحياة عن طريق الإصابات والجروح أو الخلل الهرموني الناتج عن الضغط الواقع على الفرد، وترجع اللبنات الأولى لوضع هذه النظرية لجهود كل من داروين، مندل، جالتون، كالمان، وغيرهم. (مدحت عبد الحميد، ١٩٩٠)

**النظرية النفسية: Psychological Theory**

**نظريات التحليل النفسي– Psycho-analysis Theories** يرى أصحابها أن الحياة عبارة عن سلسلة صراعات تعقبها إشباعات أو إحباطات، كما تفترض هذه المدرسة ان الشخصية تتكون من ثلاثة نظم أساسية وهي: الهوID، والأنا Ego، والأنا الأعلى Super Ego، هذه جميعاً تتفاعل معاً تفاعلاً وثيقاً بحيث يصعب فصل تأثير كل منهما، وأن السلوك في الغالب هو محصلة التفاعل بين هذه النظم الثلاثة. (بطرس حافظ بطرس، ٢٠٠٨)

كما أن الشخص حسن التوافق في نظر فرويد هو الذي تكون عنده "الأنا" بمثابة المدير المنفذ للشخصية أي هو الذي يسيطر على كل من "الهو والأنا الأعلى"، ويتحكم بهما ويدير حركة التفاعل مع العالم الخارجي تفاعلاً تراعي فيه مصلحة الشخصية بأسرها، ومالها من حاجات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التوافق الحسن عند الفرد يكون بإدراكه الشعوري لدوافعه وتكيفها لمطالب الواقع. ويرجع فرويد سوء التوافق إلى مرحلة الطفولة بخبراتها المؤلمة التي تعرض لها الطفل في مراحله الأولى والتي لها عامل أساسي في تشكيله الشخصي. (أميرة عبد العزيز الديب، ١٩٩٠)

والشخصية من وجهة نظر فرويد هي أسلوب الفرد الذي يستخدمه من أجل تحقيق التوافق، هذا الأسلوب يتميز بتأثره بالعوامل السيكولوجية والفسيولوجية، وتتمثل في الغرائز واللبيدو، وتنحصر الغرائز عند فرويد في غريزة الحياة وغريزة الموت، وتتمثل في العدوان. (حنان عبد الحميد العناني، ٢٠٠٥) وإذا ما تعرض الفرد للتهديد يلجأ إلى الحيل الدفاعية للحفاظ على كيانه مثل الكبت الذي يعتبر حيلة هروبية يلجأ لها الفرد لإبعاد الدوافع والذكريات والأفكار الشعورية المؤلمة أو المحزنة. (نعيم الرفاعي، ٢٠٠١)

ويؤكد "فروم" (Froum) أن الإنسان يحتاج إلى الإحساس بالإنتماء لأخيه الإنسان وبالإحساس بالقدرة على الإبداع والإبتكار وأن يكون سيد الطبيعة وليس ضحية مستسلمة لها، وأن يشعر بالإستقلال الذاتي. ويحتاج إلى فلسفة وعقيدة في الحياة، ويدل رأي فروم على أنه إذا لم يحقق الإنسان نوعاً من الإشباع للحاجات التي ذكرها بصرف النظر عن الثقافة أو

المجتمع الذي يعيش فيه فإنه سيعاني من إضطرابات إنفعالية. (مرسي سيد عبد الحميد، ١٩٨٥)

يتضح مما سبق أن سوء التوافق كما ذكره فرويد يرجع إلى الخبرات المؤلمة في السنوات الخمس الأولى للفرد، كما أن الفرد يدرك شعورياً دوافعه وأن يكيفها مع الواقع، وأن المصلحة العليا للفرد هي التي تدير الأنا في حركة التفاعل مع العالم الخارجي.

**النظرية السلوكية:** تفترض المدرسة السلوكية أن الشخص يتعلم السلوك من خلال تفاعله مع البيئة، وعلى هذا الأساس يجب وصف الأشخاص بكائنات إستجابية، ويستجيبون للمثيرات التي تقدمها لهم البيئة وفي أثناء تلك العملية تتكون أنماط من السلوك، والشخصية في نهاية الأمر. (يوسف مصطفى القاضي وآخرون، ١٩٨١) ويرى رواد هذه المدرسة أن عملية التوافق تكمن في إكتساب الفرد لمجموعة من العادات المناسبة والتي تتميز بالفعالية إتجاه الآخرين، علماً بأن الفرد قد اكتسبها سابقاً بالتعلم وأدت إلى خفض توتراته مع إشباع حاجاته ودوافعه وهذا أكسب الفرد سلوكاً يستدعيه وقت ألحاجة وبالتالي يؤدي هذا السلوك المتكرر إلى خفض التوتر الناتج عن إلحاح الدوافع ويكون ثباته حسب عدد مرات التدعيم وقدرة الإثابة التي وفرها. (بطرس حافظ بطرس، ٢٠٠٨)

كما يؤكد السلوكيين على أن السلوك بصفة عامة ناتج عن مثير وإستجابة وأن عدم التوافق في هذه العلاقة قد يكون ناتجاً عن مصدر المثير، بحيث يعجز المصدر عن توصيل ما يريده الإنسان بالشكل الصحيح وقد ينتج عن الشخص الذي يقوم بالإستجابة وهذا إما يكون نقصاً معرفياً أو نقصاً إنفعالياً أو إجتماعياً، وقد يرجع إلى عدم السواء عن عوامل خارجية كحدوث ضوضاء أو أي معوقات خارجية أخرى. (سماره عزيز ونمر عصام، ١٩٩١)

يتضح مما سبق أن المواقف البيئية لها دور في تشكيل شخصية الإنسان وتوافقه، والتوافق عند السلوكيون يتأتى عن طريق البيئة الإجتماعية والبيولوجية المحيطة، بحيث أننا نكتسبه عن طريق هذه المثيرات والمنبهات التي تعطي إستجابات مناسبة.

**النظرية الإنسانية:** يركز رواد هذا الإتجاه على خصوصية الإنسان بين الكائنات الحية، فيرى كارل روجرز (Rogers) أن التوافق والإنسجام يتحقق للفرد عندما تكون الذات المثالية للفرد Self-Ideal والذات الحقيقية Real-Self على استقامة واحدة، فيرى روجرز أن

الشخص الفعال هو الذي يعمل إلى أقصى مستوى، ويتسم بالإنفتاح على الخبرات ويكون مدركاً وواعياً، لديه القدرة على العيش والسعادة، يتصرف بشكل سوي، وسوء التوافق النفسي يمكن أن يستمر اذا حاول الفرد الإحتفاظ ببعض الخبرات الإنفعالية بعيداً عن مجال الوعي، وهذا من شأنه أن يولد مزيداً من التوتر والأسى. (ابراهيم محمدعياش، ٢٠٠٨)

أما ماسلو (Maslow) فقد وضع الدوافع على شكل سلسلة أو هرم متدرج من الحاجات تبدأ بالحاجات الفسيولوجية مثل الجوع والعطش ثم تأخذ بالإرتقاء نحو حاجات نفسية أعلى كالحاجة الى الأمن والإنتماء والحب والتقدير الإيجابي وتحقيق الذات وأن التوافق يرتبط بتحقيق الذات، وأن سلوك الإنسان في الحياة ليس محكوماً بالدوافع على الإطلاق، بل محكوماً بالدوافع غير المشبعة لأنها دوافع تظل تعمل وتوجه سلوك الفرد. (ماسلو، ١٩٧٠)

يتضح مما سبق أن المدرسة الإنسانية تنظر إلى سلوك الإنسان كإنسان، وأنه مزود بطاقات معينة يسعى الإنسان بهذه الطاقات والإمكانات إلى تحقيق ذاته.

**تعقيب على النظريات المفسرة للتوافق الذاتي:** يلاحظ مما سبق وجود العديد من النظريات التي فسرت الإضطراب النفسي وعدم قدرة الفرد على التوافق مع المحيط الذي يعيش فيه، وفقاً لأسس إعتمدت عليها بتركيزها على جوانب خاصة بحياة الإنسان وأين يكمن الخلل النفسي، وبناء على ما سبق من نظريات يمكن معرفة عدم قدرة الفرد على التوافق الذاتي، ترجع إلى مجموعة من عوامل، أهمها:

١) خلل جسمي مرتبط بالهرمونات وكيمياء الجسم والغدد والأدرينالين...الخ.
٢) خلل خاص بأنسجة الجسم الخاصة بالمخ Brain، مما يؤثر على الإستجابات والإستثارة.
٣) عدم إشباع الدوافع، واللجوء إلى الأساليب الدفاعية.
٤) الأفكار السلبية التي تولدت اتجاه نفسه واتجاه الآخرين، وشعوره بعدم القدرة على السيطرة على المواقف والأحداث.
٥) اليأس، وانخفاض الشعور بالكينونة.

## الاجراءات المنهجية للبحث

**منهج البحث:** عالج الباحثون البيانات وفق نهج الإحصاء الوصفي: متوسطات حسابية، وإنحرافات معيارية. والإحصاء الإستدلالي لفحص فرضيات البحث عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) عن طريق الإختبارات الإحصائية الآتية: إختبار التحليل العاملي (Factor Analysis)، وإختبار معامل إرتباط بيرسون (Correlations)، ومعامل الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach alpha) وذلك بإستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الإجتماعية (SPSS).

**إجراءات البحث:** وتضمنت الإجراءات الآتية:

- مراجعة الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات الصلة بالبحث الحالي.
- مراجعة دراسات خاصة بآليات التوافق الذاتي لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية.
- تحكيم أدوات البحث من قبل محكمين مختصين والأخذ بتعديلاتهم.
- تطبيق أداة البحث على مجتمع البحث.
- رصد النتائج في جداول خاصة وتحليلها.
- عرض النتائج ومناقشتها وإقتراح التوصيات في ضوئها.

**أسلوب اختيار العينة وحجمها:** نظراً لخصوصية موضوع الأسرى في المجتمع الفلسطيني، فقد تم إختيار العينة بأسلوب العينة ألعمدية بالتنسيق مع المؤسسات والتنظيمات والفعاليات المتابعة للأسرى وخصوصاً وزارة شؤون الأسرى والمحررين ونادي الأسير الفلسطيني. وعلى هذا الأساس تم الحصول على إطار بأسماء وعناوين الأسرى المحررين في كافة مناطق المحافظات الشمالية (الضفة الغربية). وقد بلغ حجم العينة العمدية للدراسة الميدانية (100) أسير ما بين ذكر وأنثى، ممن قضوا مدد مختلفة داخل السجن، كما تم إشتراط أن يكون الأسير قضى أكثر من عام في الأسر، وذلك لحصر إطار العينة، كما تم إختيار الأسرى الذين تم تحريرهم خلال الخمس سنوات الأخيرة السابقة للبحث.

**نوعية البيانات التي تم جمعها:** لدراسة آليات التوافق الذاتي للأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية، تم جمع بيانات ديموجرافية خاصة بالأسرى الفلسطينيين من حيث (السن والنوع والحالة الزواجية وعدد أفراد الاسرة). وبيانات عن الحالة الإجتماعية (الحالة المهنية ومستوى التعليم والدخل ومستوى المعيشة). وبيانات سلوكية تتمثل في المشكلات النفسية والإجتماعية التي يعاني منها بعض الأسرى نتيجة عدم القدرة على التكيف مع حياة السجن، والتعرف إلى أهم آليات التوافق الذاتي التي يلجأ اليها الأسير للتغلب على المشكلات النفسية والاجتماعية التي يواجهها.

**حجم العينة:** تم جمع البيانات من عينة عمدية من الأسرى الذين تحرروا من السجون والقاطنين في محافظات الضفة الغربية (المحافظات الشمالية)، قوامها (١٠٠) أسير تم تقسيمهم على المحافظات.

**إطار العينة ومجتمع البحث** يتكون مجتمع البحث من الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية والذين أمضوا أكثر من سنة في السجون الإسرائيلية، وغادروا السجون الإسرائيلية خلال الأعوام الخمسة الماضية وعددهم (9530)، تبعا للإحصائيات التي تم الحصول عليها من هيئة شؤون الأسرى والمحررين.

**مقياس البحث / الاستبانة:** مقياس التوافق الذاتي، ويتضمن( ٩) أسئلة. وللتأكد من صدق الأداة، تم عرضها على مجموعة محكمين ذوي إختصاص وخبرة وذلك للتحقق من صدقها، والطلب منهم إبداء آرائهم حول فقرات الأداة التي تم تصميمها من قبل فريق البحث في مقياسي التوافق النفس إجتماعي . كما تم التحقق من ثبات مقياس البحث بفحص الاتساق الداخلي لمؤشرات الإستمارة، وذلك بحساب معامل كرونباخ ألفا ( Cronbach alpha) على عينة البحث الكلية. حيث كانت الدرجة الكلية لثبات مقاييس التوافق هو (٠,٨٨٧). وبذلك يتمتع الإستبيان بدرجة جيدة جداً من الثبات.

**مفهوم ونتائج التحليل العاملي:** إن التحليل العاملي عملية رياضية تهتم بتصنيف الظواهر العلمية في مختلف البحوث التربوية والنفسية والتسويقية والرياضية ذات المتغيرات المتعددة، وهو أسلوب إحصائي يستهدف تفسير معاملات الإرتباط التي لها دلالة إحصائية بين مختلف المتغيرات، أي تبسيط الإرتباطات بين مختلف المتغيرات الداخلة في التحليل وصولاً إلى العوامل المشتركة التي تصف العلاقة بين المتغيرات وتفسيرها، حيث يهدف التحليل العاملي إلى تقليل حجم البيانات وتلخيصها والإقلال من المتغيرات العدية إلى عدد ضئيل من العوامل، (باهي مصطفى حسين، عبد الفتاح محمود، عز الدين حسني محمد، ٢٠٠٢) مستنداً في ذلك الى معامل الإرتباط بين كل متغير وغيره من المتغيرات الأخرى.وقد نشأ التحليل العاملي في كنف علم النفس حيث ظهر سنة (١٩٠٤) على يد العالم النفسي الإنجليزي شارل سبيرمان صاحب معامل الإرتباط الرتبي بهدف قياس الذكاء.

**تحليل البيانات: تحليل العوامل لإستمارة مقياس التوافق الذاتي:**

يحتوى محور التوافق الذاتي على (٩) متغيرات وهي: متغيرات محور(التوافق الذاتي):

١) حاولت أن أنسى كل الأمور السيئة أو المزعجة حول تجربة الأسر وما بعدها مباشرة.

٢) وقفت صلباً من أجل تخطي آثار تجربة الأسر والإنطلاق لما بعدها.

٣) أدركت أنني جلبت لنفسي مشكلة بدخولي السجن.

٤) حاولت الإحتفاظ بمشاعري لنفسي.

٥) بدأت اشعر بأن تجربة الأسر وما بعدها جعلتني أقوى مما كنت عليه في السابق.

٦) كان عندي بعض التصورات الخيالية والأماني عن واقع ما بعد التحرر.

٧) عشت الأيام الأولى بعد التحرر قي قلق شديد من إمكانية إعادة إعتقالي.

٨) لقد كنت أعرف ما ينبغي أن أفعله وضاعفت جهودي لأحقق أعلى مستوى من التوافق مع نفسي وأسرتي ومحيطي.

٩) حاولت ضبط شعوري بالإحباط والقهر قدر الإمكان وعدم عكسها في سلوكي بعد خروجي من الأسر.

**حيث أن المحاولة الأولى لتحليل العوامل لهذه المتغيرات قد بينت النتائج التالية:**

١. على مستوى جدول الإرتباطات الأولية Correlation Matrix فإنه يوجد عدد من الارتباطات أكبر من(٠,٣) وبهذا يتحقق الشرط الأول.

٢. على مستوى كفاءة التعيين الكلية Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy فإن قيمة الإختبار هو (٠,٦٧) وهو دال إحصائياً بنسبة (٠,٠٠٠) وبذلك يتحقق الشرط الثاني.

٣. على مستوى كفاءة التعيين الجزئية (MSA)، فإنه وبالنظر إلى الإرتباطات الجزئية في جدول (Anti Image) للمتغيرات، فإن متغير "أدركت أنني جلبت لنفسي مشكلة بدخولي السجن" قد أحرز نسبة إرتباط أقل من (٠,٥) ولذلك يجب حذفه من التحليل وإضافته إلى قائمة المتغيرات الأساسية وإعادة التحليل إلى العوامل بدونه في المحاولة الثانية.

٤. يتضح في المحاولة الثانية أن جميع المتغيرات ذات إرتباطات جزئية اكبر من (٠,٥). وبالتالي يتم النظر إلى جدول الإشتراكيات Communalities.

٥. ويتضح من جدول تحليل الإشتراكيات Communalities في المرحلة الثانية أن سؤال "بدأت اشعر بأن تجربة الأسر وما بعدها جعلتني أقوى مما كنت عليه في السابق" ومتغير" حاولت الإحتفاظ بمشاعري لنفسي". هما الأقل قيمة ولذلك يتم حذفهم وإدراجهم في قائمة المتغيرات الأساسية للمحور وإعادة التحليل للمحاولة الثالثة.

٦. وبالإطلاع على تشبعات العوامل بطريقة تدوير العوامل VIRAMAX يتضح من خلال الجدول التالي أن هناك عاملين. وأن التشبع الأكبر Loading للعامل الأول هو لمتغير "وقفت صلباً من أجل تخطي آثار تجربة الأسر والإنطلاق لما بعدها" بنسبة (٠,٨٦٢). أما التشبع الأكبر للعامل الثاني فهو لمتغير "عشت الأيام الأولى بعد التحرر قي قلق شديد من إمكانية إعادة إعتقالي" بنسبة (٠,٧٣٩). وبالتالي يمكن إختيار هذين المتغيريين لتمثيل العاملين بالإضافة إلى المتغيرات الأساسية التي خرجت خلال التحليل بسبب عدم تحقق الشروط وبالتالي يصبح مجموع العوامل الممثلة للمحور الأول هو(٥)متغيرات من أصل (٩).

## النتائج

بالنظر إلى النتائج المدرجة ومقاربتها مع العلاقات الدالة إحصائياً في تحليل التباين الأحادي يتضح مدى إتساق البيانات على المستويين التحليلين، أي التباين الأحادي والتحليل العاملي. فكما ذكر سابقاً معظم المحاور التي ظهرت في العلاقات الدالة إحصائياً على المستوى التحليلي الأول (التباين الأحادي) عادت وظهرت نفسها على المستوى التحليلي الثاني (العاملي). بالرجوع إلى النتائج التي ظهرت تبين أن الأسرى جميعاً قد اعتقلوا في سن الشباب المبكر أو المراهقة وقضوا سنوات طويلة في المعتقلات الإسرائيلية، وأنهم من مناطق جغرافية مختلفة وذوي إنتماءات سياسية مختلفه. إلا أنه وبحكم سنهم اليافع عند الإعتقال لم تكن قد تشكلت بعد هويتهم التنظيمية ولم يكن يحكمهم أي معايير لا فكرية ولا ثقافية ولا تاريخية ولا دينية. ببساطة كان إيمانهم نابع بضرورة مقاومة الإحتلال الذي يقتحم قراهم ومدنهم ويهدم ويقتل ويدمر، ما ولّد لديهم فكرة المقاومة بسبب شعورهم بالظلم والقهر والمهانة. والمفارقة هي أنه في الوقت الذي كان الإحتلال يزج بهم في السجون لكسر جذوة مقاومتهم قبل أن تتأصل فيهم أكثر وأكثر مع العمر، وفّر السجن لهم مساحة إستثنائية للقراءة والتعلم وفهم ماهية الإحتلال ودوافع تشكل الحركة الصهيونية، وتجربة اليهود في أوروبا والدوافع التي أدت إلى تخلص أوروبا من اليهود وتصديرهم إلى فلسطين. وهذا أدى الى إكتشاف جوهر وحقيقة ودوافع النضال لديهم ضد هذا المحتل، وزاد من قناعة الأسرى وإيمانهم بضرورة مواصلة النضال ضد الإحتلال بما في ذلك داخل السجن نفسه الذي اعتبرة العديد منهم بحد ذاته ساحة صراع مع الإحتلال، وهكذا فقد تغيرت الأمور لدى الأسرى بحكم تغير فهمهم للحياة، وتطورهم إنسانياً ومعرفياً ونفسياً، كل هذا لم يكن ليتأتى لهم لو أنهم بقوا في الخارج ولم يدخلوا السجن.

نال محور التوافق الذاتي ومضامينه نصيباً وافراً في مفردات ومساحات التعبير وأشكالة وصيغه بين صفوف المبحوثين، حتى أن عبارات معظم المبحوثين في البحث ضمّت صيغ تحمل معنى بلغ حد التطابق أحياناً لمعظم مؤشرات المحور في المقياس المستخدم في البحث. وبالإطلاع على نتائج التحليل العاملي تبين مجموع العوامل الممثلة لمتغيرات محور (التوافق الذاتي) في استمارة مقياس التوافق النفسي والإجتماعي هي:

| | | |
|---|---|---|
| ١ | وقفت صلباً من أجل تخطي آثار تجربة الأسر والإنطلاق لما بعدها | عامل ١ |
| ٢ | أدركت أنني جلبت لنفسي مشكلة بدخولي السجن | اساسي |
| ٣ | حاولت الإحتفاظ بمشاعري لنفسي | اساسي |
| ٤ | بدأت اشعر بأن تجربة الأسر وما بعدها جعلتني أقوى مما كنت عليه في السابق | اساسي |
| ٥ | عشت الأيام الأولي بعد التحرر في قلق شديد من إمكانية إعادة إعتقالي | عامل ٢ |

يتضح من خلال النتائج السابقة ظهور عاملين اساسين. وأن التشبع الأكبر Loading للعامل الأول هو لمتغير" وقفت صلباً من أجل تخطي آثار تجربة الأسر والإنطلاق لما بعدها" بنسبة (٠,٨٦٢). وهو ما يتوافق مع نتائج المقابلات الفردية حيث أصبح الأسرى المحررين أقدر على المواجهة والتحدي وأمسى بإستطاعتهم الصمود أكثر من أشخاص كُثر كانوا يُعتبرون مثالاً في التضحية والنضال، فمثلاً لأحدهم تمثل هذا التحدي بفوزه في إنتخابات تنظيمية خارج المعتقل وحصوله على أعلى الأصوات، ما كان بمثابة مؤشر ثقة التنظيم بقدرات الأسرى المحررين على القيادة، وشكل دافعاً قوياً لذلك الأسير للإستمرار في النشاطات التي يستطيع من خلالها خدمة مجتمعه. وظهر أيضاً هذا النضج في استثمار الوقت داخل السجن بما هو مثمر ومفيد للأسير لتفويت الفرصة على السجان لقتل روح الأسير وإيمانه بذاته وقضيته وجعله يندم على ما بذل من أجلها. وانسحب هذا النضج أيضاً خارج السجن وساعدهم على فهم أعمق للحياة وأن تجربة الإعتقال تحولت من تجربة موت كما يصبو إليه السجان إلى تجربة حياة كما أرادها الأسير. أحد الأشكال التي تظهر فيها التوافق الذاتي لدى الأسرى داخل السجن وإنسحب على خارجه هو أنه ساعدهم على فهم أعمق للحياة، كما يقول أحدهم؛" ..أدى الى تغيير في نظرتي للحياة، حيث لم أكن مقدر لمعنى الموت، وهنا أصبحت أفهم ما معنى حياة كاملة..."

هذا وقد أجمع كافة الأسرى الذين تمت مقابلتهم وبنسبة وصلت إلى(١٠٠%) على أن لمسألة التوعية والتثقيف داخل السجن الدور الرئيس في مسألة الإندماج وصياغة شخصية الأسير وفكره على المدى القريب والبعيد. فقد كان للدورات والجلسات التنظيمية التي كانت تعقد داخل السجون وبشكل منتظم الأثر الأكبر في صقل شخصية الأسير وإكتساب الثقة والمعرفة وتعزيز قدرته على المواجهة والصمود داخل المعتقل، كما أنها أيضاً ساهمت في تمكينه نفسياً وإجتماعياً في تسريع عملية إندماجه مع باقي الأسرى وتوافقة إجتماعياً وإنسانياً

داخل بيئة السجن على قسوتها وبشاعتها. وفي وصفه لهذا الجانب من تجربة الإعتقال والتوافق الذي تحقق له فيها، يقول أحد الأسرى الذين تمت مقابلتهم ؛ "... إنني أعتز بتجربتي داخل السجن لأنها خلقت لدي وعي وصقلت شخصيتي، حتى وصلت وأنا في سن ١٨، الى موجه عام داخل السجون. وبدأنا ممارسة حقنا في المطالبة بحقوق الأسرى داخل المعتقلات لدرجة الدخول في الإضراب كلما لزم، وكنا نعيش في السجن كأننا داخل جامعه أو كلية فيها نظام ودورات ومحاضرات تثقيفية وبرامج تعليمية بإستمرار..."

تبين أن هناك تتطابق في هذه النتيجة مع النموذج التكيفي لميكانيك وهو أن الإستجابة مرتبطة بعوامل منها "قدرة الفرد"، وهذا ما ظهر في هذا المتغير، ويتطابق كذلك مع النموذج النفسي للعالم لازاروس حيث ان مرحلة التقييم الأولي والتكيفي تتأثران بعوامل عديدة منها خصائص الفرد الشخصية والخلفية الثقافية للفرد.كما تتوافق هذه النتيجة مع دراسة(عبد الرؤوف الطلاع ،٢٠٠٤).

أما التشبع الأكبر للعامل الثاني فهو لمتغير"عشت الأيام الأولى بعد التحرر قي قلق شديد من إمكانية إعادة إعتقالي" بنسبة (٠,٧٣٩). وهذا يتوافق مع نتائج المقابلات الفردية، حتى وإن كان الأسرى، رغم أنف السجان، قادرين على بلورة وابتكار آليات وأدوات تساعدهم على التكيف والتوافق مع ذواتهم وفيما بينهم، فإن هذا لا يلغي أبداً قسوة وبشاعة ما يختبرونه في تجاربهم الإعتقالية على أيدي السجان وما يوقعه بهم من أوجه الحرمان والإذلال والمعاناة الفائقة متعددة الأنماط والأشكال. ولعل ما تحدثت به إحدى الأسيرات عن المشاعر القاسية التي عاشتها عند عودتها للحرية وتحديداً إبان فترة الخروج التي تمت إثر عملية تبادل شملتها وأسرى آخرين بعد أن أمضت ما يزيد عن (١٠) سنوات في المعتقل، حيث تقول؛ "... كان يوم الإفراج عني مثل الحلم، وطول فترة الطريق الواصل ما بين السجن ومكان إطلاق سراحي كان مثل الحلم أيضا، فأحيانا أدرك أنني في طريقي للحرية وأحيانا أعتقد أنني أعيش في حلم، وفي رعب كبير من أن تلغى الصفقة..."

أما على مستوى كفاءة التعيين الجزئية (MSA)، فإنه وبالنظر إلى الإرتباطات الجزئية في جدول (Anti Image) للمتغيرات،بينت النتائج إن متغير "أدركت أنني جلبت لنفسي مشكلة بدخولي السجن"،قد أحرز نسبة إرتباط أقل من(٠,٥) حيث تم إدراجه في قائمة

المتغيرات الأساسية لمحور التوافق الذاتي. حيث تتوافق هذه النتيجة مع نظرية الإنعصاب البيئي وتحديداً النموذج النفسي للعالم لازاروس. كما أن هذه النتيجة تتعارض مع المقابلات الفردية التي تمت مع بعض الأسرى يقول أحد الأسرى المحررين ممن تمت مقابلتهم؛". منذ اليوم الأول لم يراودني أدنى شعور بالندم. وطيلة فترة ال ١٤ سنة من الاعتقال كنت أتعلم، وكان التنظيم حاضنة رائعة لبناء الكوادر نفسيا ومعنويا وفكريا وثقافيا، ويوميا كنت أتعرف على أصدقاء جدد داخل المعتقل، وبالتالي لم أشعر بالندم ولو لمرة واحدة لوجودي داخل المعتقل، بل بالعكس كنت أشعر بالغيرة من مناضلين آخرين قدموا عمليات أكبر مما قدمت..."

كما بينت بعض نتائج المقابلات الفردية تعارض مع هذه النتيجة وتعبيراً عن إعتزازها بنضالها تقول إحدى الأسيرات المحررات؛ "... أنا كأسيرة أحمدالله على دخولي السجن، وهذا ليس نابعاً من حالة إحباط، أو أن حياتي كانت جحيم خارج السجن، بالعكس كانت حياتي جميلة، ولكن الأسر صقل شخصيتي وجعل لي كيان أعتز به وأفخر، وهو كياني كمناضلة أدت بعضا من واجبها اتجاه وطنها..."

كما بينت نتائج تحليل الإشتراكيات Communalities أن سؤال " بدأت اشعر بأن تجربة الأسر وما بعدها جعلتني أقوى مما كنت عليه في السابق" قد أحرز نسبة إرتباط أقل من (٠,٥) ولذلك يتم إدراجه في قائمة المتغيرات الأساسية لمحور التوافق الذاتي. بحيث تتطابق هذه النتيجة مع النموذج النفسي للعالم لازاروس القائلة بان مرحلة التقييم الأولي والتكيفي تتأثران بعوامل عديدة منها خصائص الفرد الشخصية والخلفية الثقافية للفرد. كما تتوافق هذه النتيجة مع نتائج المقابلات الفردية. وقد أكد معظم الأسرى في مقابلاتهم أن قرار الحكم مهما كانت مدته يمثل حالة إستقرار بالنسبة للأسير.

ففي إحدى التجارب اللافته للأسرى الذين تمت مقابلتهم يروي الأسير المحرر قصته كالتالي؛"... طريقة التعذيب والتحقيق معي كانت همجية بالضرب المبرح ومحاولة الخنق، وهذه المرحلة من التعذيب قاسية جدا ومتوحشة لانها تهدف بالأساس الى كسر ارادة الاسير وعنفوانه وخصوصا نحن الجيل الأصغر. ومع ذلك فإن ما افتخر به أنني في كافة مرات

الاعتقال لم يستطيعوا انتزاع اعتراف مني عن أي شيء. وعلى كل حال، تلتئم الجروح وتتعافى عند انتهاء التحقيق وانتقال الأسير الى غرف السجن والانخراط مع المعتقلين الآخرين الذين يهتمون باعادة ثقة الشبل المناضل بنفسه من خلال توعيته وتثقيفه وشحذ همته وحثه على ضرورة استمراره بالمقاومة والنضال بالأشكال المتاحة داخل السجن والذي هو إحدى ساحات النضال ايضاً...". وتتوافق هذه النتيجة مع دراسة (بولونا ،٢٠٠٦) الى حد بعيد.

كما وبينت نتائج تحليل الإشتراكيات Communalities أيضاً أن سؤال " حاولت الإحتفاظ بمشاعري لنفسي"، قد أحرز نسبة إرتباط أقل من (٠,٥) ولذلك يتم إدراجه في قائمة المتغيرات الأساسية لمحور التوافق الذاتي. وهو ما توافق ايضا مع نتائج المقابلات الفردية ولكي يعيش الأسير في تصالح وتوافق مع نفسه ومع الآخرين وينأى بنفسه عن اي صدام، يشرح أحد المبحوثين توجهه الوقائي ويقول؛"... فترة الخروج من المعتقل مثلت لي مرحلة ولادة جديدة بكل ما تحمل الكلمة من معنى . اتخذت قراراً استراتيجياً بعد الخروج من السجن بأن أحافظ على رصيد إحترام الناس لنضالي والسنوات التي قضيتها في المعتقل، وقررت عدم التدخل في خلافات أو تناقضات، فأنا أقف على الحياد، وفي منطقة الوسط بين كل التناقضات الموجودة. وعلاقتي مع الناس ابقيتها نظيفة وبيضاء، سواء من أساء الي أو من أحبني..."

ومن خلال إجابة إحدى الأسيرات بكلام مؤثر وقوي وإيجابي عن مشاعرها يظهر مدى توافقها الذاتي والنفسي أثناء فترة وجودها في المعتقل؛"... وبقي أيضا الشعور المستمر بحب الحياة وتكوين اسرة واطفال والذي أجّجه ولادة احدى الاسيرات داخل المعتقل وتناوب الاسيرات على رعاية وتربية المولود الجديد داخل السجن..." تتوافق هذه النتيجة مع دراسة ( إبراهيم لطفي عبد الباسط ،١٩٩٤).

## التوصيات

١. ضرورة دعم وإسناد الأسرى وحثهم لإستكمال برامج التوعية والتثقيف والجلسات التنظيمية داخل السجن.

٢. وضع برامج تأهيل للأسرى يمكن لها أن تلبي إحتياجات ومتطلبات الأسرى العديدة.

٣. وضع برامج توعية وتثقيف لجيل المراهقة من الاسرى المحررين وحتى الأسرة نفسها في سبيل دعم وشحن الروح الوطنية عندهم وقطع الطريق على الاحتلال الذي يحاول إصطياد هذا الجيل بأفكار تبعده عن وطنه وقضيته الرئيسية. وسياسة واضحة لإستيعاب الأسرى في العمل داخل مؤسسات الدولة المدنية والأمنية.

٤. إعطاء أولوية للأسرى المحررين للعمل في الوظائف الرسمية بعد تأهيلهم وإستيفائهم شروط شغل هذه الوظائف.

٥. دمج أسر الأسرى المعتقلين في مؤسسات تمكنهم من التعليم والعمل لاحقا في وظائف تلبي لهم حياة كريمة.

٦. توفير تأمين صحي شامل للمعتقلين المحررين وأسرهم يمكنهم من علاج الأمراض سواء الجسدية أو النفسية التي سببها فترة اعتقال الأسير.

٧. فتح أندية ومراكز شبابية تقدم خدمات وانشطة تمكن المعتقلين المحررين واسرهم من شغل وقتهم في مراكز لها انشطة وخدمات هادفة.

٨. دعم المؤسسات التي تعنى بتقديم المشاريع الصغيرة والمتوسطة للأسر المحتاجة أو التي تحتاج الى دعم من خلال منح مالية تمكن أسرة المعتقل بدء حياتها في مشروع صغير مثل ( مشروع خياطة، تطريز، زراعة .....الخ).

وفي الختام نقول أن هذا البحث قد أظهر بأنه على الرغم من بشاعة ووحشية المحتل الإسرائيلي وممارساته ضد المعتقلين الفلسطينيين الا أن البيئة الحاضنة للأسير الجديد ممن سبقوه من الأسرى داخل المعتقل، والبنية المتماسكة والمساندة والمنظمة والتوعوية "لمجتمع الأسرى" تلعب الدور الأكبر في توافق الأسير مع ذاته واندماجه مع الآخرين، بل وصقلة انسانيا ووطنيا وذاتيا، وهذا خلافا لما يصبو اليه السجان. ومن ثم فإن هذا المستوى المتقدم من التوافق للأسرى بما في ذلك مع الذات يحملة الأسير معه الى بيئته الخارجية بعد التحرر من المعتقل، الأمر الذي تعززة المساندة الأسرية والإجتماعية التي يحظى بها الأسير المحرر من بيئتة المحيطة وأهلة واصدقائه. وهذا كلة لأن الحديث هنا عن وطن وقضية ضحى من أجلها هؤلاء المناضلون بصباهم واجمل سني عمرهم، لذا وبالرغم من الإنتكاسات يظلون هم

أيقونة النضال وشعلته التي لا تخبو والتي يلتف حولها ويمجدها الجميع وأن كبا البعض أحيانا.

## المراجع


إبراهيم لطفي عبد الباسط:"عمليات تحمل الضغوط في علاقتها بعدد من المتغيرات النفسية لدى المعلمين"، مجلة مركز البحوث التربوية، العدد ٥، جامعة قطر، ٩٥-١٢٨، (١٩٩٤)

ابراهيم محمد عياش (٢٠٠٨): النظرية الانسانية في العلاج النفسي، الحوار المتمدن، العدد ٢٢٥٦- ٤/٢٠٠٨ /١٩ - ١١:٠٩

أميرة عبد العزيز الديب (١٩٩٠): سيكولوجية التوافق النفسي في الطفولة المبكرة، مكتبة دار الفلاح، الكويت

باهي مصطفى حسين، عبد الفتاح محمود، عز الدين حسني محمد (٢٠٠٢): التحليل العاملي النظرية – التطبيق، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ١٧

بكه سوسن تمر خان (٢٠٠٦): " الجرائم ضد الإنسانية في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، ص٣٣٣

بطرس حافظ بطرس (٢٠٠٨): التكيف والصحة للطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الاولى، عمان – الاردن، ص ٩٩ – ١٢٤

حسام حمدي العزب (٢٠١٤): سياسة التعذيب في السجون الإسرائيلية على ضوء المواثيق الدولية، مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدولية، غزة

حسن أحمد محمد حميدة (٢٠١٢):" العلاقة بين أحداث الحياة الضاغطة ومستوى التوافق النفسي"، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ص٣٤

حنان عبدالحميد العناني (٢٠٠٥): الصحة النفسية، الطبعة الثالثة، الاردن، دار الفكر للطباعة والنشر

سابا، رغدة، والسراج، إياد (١٩٩١): طرق التعذيب وآثاره النفسية، جمعية فلسطين الدولية للصحة النفسية، برنامج غزة للصحة النفسية. ص ٤ – ٥.

سعد المغربي: حول مفهوم الصحة النفسية أو التوافق، مجلة علم النفس، العدد (٢٣)، يوليو أغسطس سبتمبر ١٩٩١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عبد الرؤوف الطلاع (٢٠٠٤):" التوافق النفسي والإجتماعي وعلاقته بالإنتماء لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة

علا أبو حسب الله (٢٠٠٩):" التأثير النفسي والاجتماعي للأسر على الأسيرات المحررات"، مجلة ينابيع الحياة، جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية، رام الله

عرفات صبحي طالب ذوقان (٢٠١٠): المشكلات الاجتماعية والنفسية لزوجات الأسرى الفلسطينيين وتصور لبرنامج مقترح لمواجهتها من منظور العلاج الأسري في خدمة الفرد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان

كمال إبراهيم محمد علاونة (٢٠١٣):"الآثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية على الأسرى المحررين من سجون الإحتلال الصهيوني في فلسطين" جامعة النجاح الوطنية

محمد الزير(٢٠٠١):"الآثار بعيدة المدى للتعذيب لدى المحررين الفلسطينيين وعلاقتها ببعض المتغيرات"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة

محمد حامد النجار (١٩٩٧): تقدير الذات والتوافق النفسي والإجتماعي لدي معاقي الإنتفاضة جسمياً لقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة

محمد سيد أحمد غريب (١٩٨٩): تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص١٧

مدحت عبد الحميد (١٩٩٠): لصحة النفسية والتوافق الدراسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص ٢٠

مرسي سيد عبد الحميد (١٩٨٥): الشخصية السوية، مكتبة وهبة، القاهرة

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الانسان (٢٠١٣): إعتداءات الوحدات الخاصة الإسرائيلية والمعتقلين أثناء النقل والإقتحامات، رام الله

نعيم الرفاعي (٢٠٠١): الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، الطبعة الثامنة، جامعة دمشق

هلال أبو فراس (٢٠٠٩): معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الاسرائيلي، الطبعة الأولى، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارت، ص١١

يوسف مصطفى القاضي وآخرون (١٩٨١): الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، ط ١١، دار المريخ، الرياض

سماره عزيز ونمر عصام (١٩٩١): محاضرات في التوجيه والإرشاد النفسي، دار الفكر العربي للتوزيع والنشر، الأردن

Blonna, R. (2006): "Coping With Stress in a Changing Word", McGrawHill- Companies,4ED,Isbn: 9780073026602,p432.

Borella, N.: A Study of Social Support Network Measurement in high school students. Japanese Journal of health psychology. Vol. (7). No. (1) , (1999).

Fichten, G. S. et. al, (1989): College Students with physical disabilities: Myths and Realitites, Rehabilitaion psychology 34.4.234 - 257

http://kandouci.africa-web.org/rrsuite.htm

http://psychclassic.yorku.ca/spearman/chap1-4htm//chapter2

John hickman(2008): "What is a Prisoner of War For?" "Scientia Militaria". Vol. 36,No.2.

Koubekova, E. (2000): Personal and social adjustment of physically handicapped pubescent psycho logia Dietata, J. 35(1), pp. 32-39.

Maslow, A. H. (1970): Motivation and personality, (2nd ed.) Harprer & Row, NY.

Ojeda, A. (2009): What is the psychological torture, (30/6/2016). Center for the study of Human Rights in the Americas. www.inguistics.ucdavis.edu/People/Fzojeda/human-rights/what_is_pt.pdf

Pellrtteri (2002): Self Concept and Self- Esteem in Elementary Children. Psychology in the Schools. 31,164- 171.

Segal, H. A.: Initial Psychiatric Finding of Recently Repatriated Pows. American Journal of Psychiatry. Vol. 111, 358:363, (1973).

Turner, S. and Gorst-Unsworth, C.: Psychological Sequelae of Torture, Medical Foundation Series (1/2/2016). www.torturecare.org.uk, (1993).

Zahava - Solomon, Karni-Ginzbury *et. al*, (1998): Coping with War Capitivity: The Role of Attachment Style. European Journal.

# SELF-COMPLIANCE OF PALESTINIAN PRISONERS RELEASED FROM ISRAELI PRISONS

**[9]**

**Moaen Ansawy [(1)]; Ahmed M. El-Atik [(2)]; Mostafa I. Awad [(2)] and Isha Alrifai [(3)]**

1) Post Grad. Institute of Environmental Studies and Research, Ain Shams University 2) Institute of Environmental Studies and Research, Ain Shams University 3) Education Sciences Faculty and Ramallah Women Training Centre, UNRWA, Palestine

## ABSTRACT

This article presents the findings of our research on mechanisms of self-compliance of the Palestinian prisoners released from Israeli jails after having completed their sentence. This is in connection to their personality traits and pertinent areas of compatibility.

Demographic data were collected on the released Palestinian prisoners in terms of (age, gender, marital status and number of family members). This is in addition to; socio-economic data (occupational status, level of education, income and standard of living), and behavioral data focusing on the psychological and social problems prisoners endure as consequences of deficits in adaptation to prison life. Mechanisms of compatibility and self-reconcilement that the prisoner resort to in order to overcome the psychological and social problems that he/she faced are explored. The self-compliance scale was used and demographic data were generated, including; age at arrest, age at discharge, number of arrests, current age, educational level, sex, social status and employment status.

The results showed that the consistent indicators and aspects in the self-compliance scale after the analysis were: Stand solid in order to overcome the effects of the experience of families and start beyond; I realized that I had brought myself a problem entering prison; I tried to keep my feelings to myself; I began to feel that the experience of prison

and after made me stronger than I was in the past; The first few days after liberation I lived in deep concern about the possibility of being re-arrested.

Given the scale of self-compliance and comparison with statistically significant relationships in the analysis of variance (ANOVA), the extent of data consistency at the analytical levels, i.e., ANOVA and Factor Analysis, is shown. Most of the axes that emerged in the statistically significant relations at the first analytical level (ANOVA) reappeared at the second (Factor Analysis) analytical level. These include; being arrested at the age of early youth or adolescence, having spent many years in Israeli detention jails, and coming from different geographical areas and different political affiliations. However, given their young age on arrest, respondents had not yet formed their political identity but were rather urged to resist the sense of injustice, oppression and humiliation inflicted upon them by the occupier who broke into their villages and towns destroying properties and killing people. The irony is that while the occupation was imprisoning them to break the resistance before it becomes more and more entrenched with age, the prison provided them with an exceptional space for reading, learning and understanding the nature of the occupation and the motives of the Zionist movement, and increased their belief in the need to continue the struggle against the occupation including inside the prison itself, many of whom considered a battleground against the occupation.

It was also found that the self-compliance concept and its elements obtained a considerable share in the vocabulary, areas and forms of expression among the respondents so that most of their answers included formulas that have a meaning that was sometimes identical to the concept defined parameters , such as, "I began to feel that the experience of imprisonment and beyond made me stronger than I was in the past" and "I had some imaginative perceptions and aspirations for the reality of post-liberation." However, the majority of respondents were able to achieve self-compliance after liberation by "Standing firm in order to overcome the effects of the experience of imprisonment and the launch of the aftermath" and "trying to keep emotions solely to own self and not to reflect on behavior" and "I began to feel that the

experience of imprisonment and beyond made me stronger than I was before ".

Released from captivity was a fundamental challenge for almost all liberated prisoners, as it brought them to the realization that they had to deal with new realities in all matters and at all levels. This includes a mindset that is compatible with what is achievable, far from the "the Republic of Plato" which governs the relations and behavior of the prisoners inside the prison.

In conclusion, this research shows that despite the brutality of the Israeli occupation and its practices against Palestinian prisoners, the embracing environment of the new prisoners by those who preceded them, and the cohesive, supportive, organized and awareness-based structure of the "prisoners' community" plays the major role in the prisoner's sefl-compliance and his/her integration with others, as well as his/her human, national and self-sufficiency, and this is contrary to what the jailer wants. Thus, this advanced level of compatibility of and among the prisoners, including with one's own self, the prisoner carries to his/her external environment after liberation from prison, where it is strengthened by the family and social support enjoyed by the liberated prisoner from his/her surrounding environment and his family and friends. This is because the talk here is about a homeland and a Cause for whom these freedom fighters scarified the most beautiful and productive years of their lives. So despite the setbacks, they remain the "Icon of the Struggle" and its flame that continue to be glorified by all, even if some relapse at times.